الارتباك الغربي في محاربة داعش: ماذا بعد؟

■ حميدي العبدالله

عُقد الأسبوع الماضي اجتماعان كرّسا البحث الاستراتيجية الغربية لمحاربة «داعش»، الاجتماع الأول ضمّ الدول الـ60 التي تشارك في الحرب على «داعش» في سورية والعراق، وعلقت صحيفة «واشنطن بوست» على نتائج الاجتماع مؤكدةً أنّ ثمة وحدة موقف داخل الاجتماع حول ما ينبغي عمله في العراق، ولكن مع الأخذ في الاعتبار «أنّ إيران تعتبر شريكاً صامتاً في العراق، ولكنها عدوٍ محتمل في سورية وأماكن أخرى» «بينما تركيا والسعودية حليفتان حاسمتان ولكنهما متقلبتان وأنانيتان».

أما إزاء سورية فقد ظهر انقسام، وقالت عنها «واشنطن بوست» أنها «المشكلة المحيّرة» «حيث أنّ أعضاء التحالف لديهم أجندات مختلفة، فقادة المملكة العربية السعودية وتركيا وقطر يطالبون بتنحّي الرئيس بشار الأسد، في حين أنّ الأردن والإمارات العربية المتحدة تشعران بالقلق من إسقاط رأس النظام السوري قبل أن تكون المرحلة الانتقالية جاهزة».

الاجتماع الثاني الذي ضمّ وزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبي، حيث كان ثمة موقف موحد من «داعش» في العراق، فإن الوضع كان مختلفاً إزاء سورية، ففي حين أيّدت غالبية دول الاتحاد الأوروبي مبادرة المبعوث الأممي ستيفان دي ميستورا، شككت كل من بريطانيا وفرنسا بالمبادرة وقابلية وضعها موضع التنفيذ، بل أكثر من ذلك حذرت من احتمال أن تستفيد منها الحكومة السورية أكثر من القوى التي تدعمها الحكومات الغربية.

صحيح أنه في هذا الاجتماع لم تبرز أصوات تدعو إلى الحرب على جبهتين، جبهة «داعش» وجبهة الجيش السوري، مثل الأصوات التي عبّرت عنها تركيا في اجتماع التحالف الدولي الذي يضمّ (60) دولة، إلا أنّ مواقف لندن وباريس كانت حاسمة لجهة تعطيل أي إمكانية للتعاون بين التحالف والحكومة السورية لضرب «داعش».

الانقسام داخل دول التحالف، وداخل الاتحاد الأوروبي حول كيفية التصدي لـ«داعش» في العراق وسورية يسبّب الإرباك الحاصل في الحرب المعلنة على التنظيم وعلى بقية التشكيلات التي تنتمي إلى تنظيم القاعدة، على الرغم من تصاعد القلق من خطر التنظيمات.

وإذا أضيفت إلى هذا الانقسام محدودية تأثير العمليات الجوية، ونجاح تنظيم «داعش» في تحقيق المزيد من المكاسب، ولا سيما في محافظة الأنبار العراقية، فإنه يمكن الاستنتاج بأن لا استراتيجية فاعلة في الحرب على التنظيم، الذي يستفيد بقوة من هذا الإرباك ومن الانقسامات ومن محدودية تأثير الضربات الجوية ليعزز سيطرته أكثر على المناطق التي استولى عليها في العراق وفي سورية، ويتيح له الاستعداد للقيام بأعمال توسّع حيث تكون هناك فرصة سانحة، أو ثغرات في بعض جبهات المواجهة، وإذا ما استمرّ الحال على هذا المنوال، فإنّ الحرب الدائرة ستتحوّل إلى حرب استنزاف للتحالف الدولي يخشى أن تقود إلى تفكك هذا التحالف والانسحاب من المواجهة، على غرار ما حصل في العراق عام 2011، وما قد يحصل في أفغانستان ابتداءً من نهاية هذا العام.

لا يمكن للحرب على «داعش» أن تحقق النجاح ما لم يتوافر واحد من أمرين أو الاثنين معاً: الأمر الأول وحدة صف الدول المشاركة في الائتلاف، وتخطي خلافاتها ومصالحها المتضاربة، والأمر الثاني التعاون مع الجهات الأكثر فعالية، ولا سيما الحكومة السورية والجيش السوري.

إذا لم يحدث ذلك فعبثاً الرهان على نجاح التحالف الدولي في قهر «داعش» والقضاء عليها.

أميركا ترتبك فترتبك السياسة والتسويات؟

■ روزانا رمال

كلّ من يتابع السياسة الاميركية الخارجية والسلوك الذي تنتهجه في اكثر القضايا حساسية ودقة سيستنتج حكماً انّ هناك تردّداً وارتباكاً أميركيَيْن واضحيْن، او ربما مصطنعيْن حيال مواقفها من تلك القضايا، التي يمكن وصفها بالمتناقضة حيناً والمزدوجة حيناً آخر فماذا تصنع أميركا؟

في ما يتعلّق بالملف السوري الذي يتجه ولأول مرة منذ الأزمة نحو الحديث عن مبادرة جدية قابلة للنجاح وبإيجابية سورية غير مسبوقة، وهي مبادرة دي ميستورا، يعرف الأميركي جيداً انه والروس سعوا للوصول اليها منذ اليوم الاول لتعيين دي ميستورا، وإيجابية الرئيس بشار الأسد تجاه المبادرة كانت واضحة، وكلّ هذا تمّت ترجمته في زيارات دي ميستورا المتتالية الى سورية وعكسها مبعوث الرئاسة الروسية أيضاً ميخائيل بوغدانوف في زياراته الى دمشق، وفجاة وبدون مناسبة تصدر واشنطن عقوبات ضدّ رجال أعمال وشركات سورية على الرغم من انّ واشنطن تعرف انّ «المعارضة المعتدلة» في سورية «فانتازيا» وهي صاحبة هذا الوصف، وتعرف انّ حلفاءها مفلسون، وتعرف انّ سورية مستجيبة لمبادرة دي ميستورا، وانّ العرقلة لا تزال تركية سعودية!

في ما يخصّ العلاقة مع ايران فالتقدم في المفاوضات النووية تقني سريع وشبه نهائي، وبالرغم من هذا بقي على الادارة الاميركية أن تسلم بحقوق ايران برفع العقوبات لكنها لا تريد مصادمة الكونغرس، وأغلب العقوبات الاميركية «تشريعات كونغرس»، لذلك تعود واشنطن إلى المماطلة بالملفات التقنية وتخترع مواضيع لإطالة أمد المفاوضات للتهرّب من الخيار الصعب بين مصلحة اميركية عليا بالتفاهم ومصلحة انتخابية ضيقة وفئوية بالتجميد.

اما بالنسبة إلى العلاقة مع روسيا فإنّ الاتفاق على اوكرانيا سلك الطريق، وروسيا تعاون اميركا في الحلول لكلّ من سورية وايران، ورغم ذلك لم تكتف ادارة اوباما بعدم الغاء العقوبات على روسيا التي تستفز بوتين وتدفعه إلى التصعيد بل يصدر الكونغرس تشريعاً تعد الإدارة بعدم استخدامه، رغم أن أوباما وقّعه، أيضاً حتى لا يتصادم مع الكونغرس الجديد.

أما اخيراً حول أكثر المواضيع حساسية ودقة وعمره من عمر ازمات الشرق الاوسط، وهو ما يتعلق بقضية فلسطين والصراع مع العدو «الاسرائيلي»، وبالتحديد المشروع المقدم الى مجلس الأمن وفحواه تحديد مهلة سنتين لانسحاب قوات الاحتلال من الأراضي المحتلة عام 1967 وإقامة دولة فلسطينية كاملة السيادة عاصمتها القدس الشرقية.

إيجابية محمود عباس المطروحة تجاه الملفّ بغضّ النظر عن صوابية او عدم صوابية موقفه يهدّد الاميركي برفع الفيتو كالعادة، رغم انه لا لزوم للتهديد باي فيتو لتقبل السلطة الفلسطينية التعديلات التي تطلبها واشنطن، التي أبلغت السلطة أنّ قراراً معدّلاً هو الطريق الوحيد لتفادي الفيتو، فلماذا التهديد اذاً؟ وهو التهديد الذي تعرف الادارة الاميركية مسبقاً انه قد يؤخر او يعرقل اي تقدم او يقلق الطرف المفاوض.

لماذا ترفع عقوبات اميركية على رجال أعمال سوريين تعرف واشنطن جيداً انّ في هذه الخطوة استعراض اكثر من القدرة على التأثير الجدي على الأزمة السورية او على النظام وواقعه وحاله؟

لماذا العقوبات على روسيا رغم انها تتفق معها في أكثر وأكبر من ذلك؟ الى ماذا يشير هذا السلوك الأميركي...

لماذا إرسال كلّ هذه الرسائل المقلقة غير المؤثرة بعلم ويقين اوباما وإدارته؟ هل هو بث القلق لمجرّد القلق؟

الواضح انّ حساباً مزدوجاً تقيمه اميركا تعرف انه لا يوجد له قيمة سلفاً سوى الاعلان عنه، لانها بوضع داخلي حرج، ولأنها كادارة تعتمد على اصوات اللوبي اليهودي من جهة وتمويل سعودي للحملة الانتخابية الاميركية من جهة ثانية، وبالتالي يقرّر اوباما عن سورية قرارات ليس لها تأثير ولا توضع سوى في خانة الاجراء الذي لا علاقة له بثنائية اميركية – سورية بل بثلاثية اميركية – اسرائيلية – سعودية.

وفي الموضوع الفلسطيني، فإنّ الإصرار على الفيتو ليس موجهاً الى محمود عباس بل إلى اليهود، كرسالة أميركية تقول إننا معكم، والفيتو جاهز كلما تعرّضت «إسرائيل» للإزعاج، ولذلك فإنّ كلّ هذا الضجيج الاميركي موجه فقط ليسمعه الاسرائيليون.

كل هذا لأنّ إدارة أوباما تخوض الانتخابات وليست تقود مبادرة سلام، ولأنها تعتبر انّ الناخب اليهودي واللوبي الصهيوني ونفوذ «إسرائيل» أهمّ من المصلحة العليا الاميركية.

ومع روسيا لا تستدعي الاتفاقات استعمال عقوبات، وهذا يعني أن الأمر هو من ضمن اللعبة الداخلية الاميركية، فاميركا محكومة برؤيتها الاستراتيجية في كل هذه الملفات، لذلك تبدو أنها تفعل الشيء وضدّه ما قد ينتج في المقابل تردّداً سورياً وفلسطينياً وروسياً وايرانياً.

«توب نيوز»

تحرّش بسورية

أصدرت وزارة الخزانة الأميركية يوم أمس قراراً بفرض العقوبات على شركات هولندية وبريطانية وألمانية وعدد من شركات يملكها سوريون خارج سورية بتهمة المشاركة في التجارة بسوق النفط السورية، وخصوصاً شراء المشتقات النفطية او النفط الخام الصالح للتكرير والتصدير إلى سورية.

تعرف واشنطن التي تصدر عقوبات بحجة دعم ما تسمّيه «ثورة الشعب السوري» أنّ المحروقات المستوردة هي لحساب الشعب السوري، وأنّ احتياجات القوات المسلحة يسهل تأمينها من إيران وروسيا خارج لعبة المصارف الغربية والسوق العالمية، وبالتالي فالعقوبات تفضح نية أميركا الحقيقية بالتضييق على الشعب السوري وإضعاف عزيمته والنيل من صموده ربما لأنها تعرف انّ أغلبيته الكاسحة منحت أصواتها للرئيس بشار الأسد فقرّرت معاقبة كلّ السوريين.

تعرف واشنطن أنّ القرار يأتي في الوقت الذي تسعى فيه مع موسكو لتسهيل مهمة انطلاق تسوية للأزمة السورية تشكل مبادرة دي ميستورا بدايتها، وأنّ القيادة السورية متجاوبة مع مساعي الحل السياسي وأنّ العقوبات رسالة سيئة في توقيتها وعلاقتها بمهمة دي ميستورا.

ترغب واشنطن بتسمين ملفاتها التفاوضية مع سورية وفي قلبها ملفات العقوبات.

تحرش بتوقيت سيّئ.

التعليق السياسي

صباح الخير هافانا... فيفا كوبا... فيفا كاسترو... فيفا غيفارا!

■ نصار إبراهيم

نعم... يضحك كثيرا من يضحك أخيراً!

الخبر: أعلن الرئيس الاميركي باراك اوباما «بداية عهد جديد مع كوبا»، بالقول «سننهي نهجاً قديماً في السياسة تجاه كوبا»، وإن واشنطن «ستسحب كوبا من قائمة الدول الداعمة للارهاب».

وتحدث الرئيسان الكوبي راوول كاسترو والأميركي عن صفقة تبادل السجناء والمفاوضات لإعادة العلاقات. وقال أوباما إن بلاده ستتخذ خطوات لتفعيل مصالح البلدين، مؤكداً أن السنوات الماضية «برهنت أن العزلة لا نفع منها».

وقال الرئيس الأميركي إن عزل كوبا الذي استمر لسنوات طويلة «لم يعط نتيجة وينبغي اعتماد مقاربة جديدة»، ومنها مباشرة الكونغرس «البدء برفع العقوبات عن كوبا».

كما عمّت أجواء من الفرح العاصمة الكوبية هافانا بعد إطلاق سراح السجناء الكوبيين الذين عادوا إلى كوبا.

وإلى جانب ذلك فقد جرى أيضا تقلد القائد فيديل كاسترو في بكين يوم 17 كانون الأول 2014 وسام رجل السلام العالمي وجائزة كونفوشيوس للسلام.

إذن كوبا تنتصر وهي على مرمى حجر من شواطئ أميركا القوة الغاشمة، خمسة عقود من الحصار والعقوبات ولكن كوبا بقيت تقاوم... لم تلن لها قناة... ولم تنكس رأسها... وحافظت على كرامتها...

كوبا الثورة... كوبا الراية... كوبا كاسترو وغيفارا... تنتصر!

هذه هي القيادة التي تعرف كيف تحفظ لشعبها حريته وكرامته ولا تساوم على ذلك بحفنة دولارات...

أذكر قبل عقدين عندما حاولت الولايات المتحدة أن تقتحم القلعة الكوبية من داخلها... يومها حرّكت طابورها الخامس باسم «الحرية وحقوق الإنسان»... فخرجت بضعة آلاف من الكوبيين إلى الشواطئ مطالبين بحرية الذهاب إلى أميركا... وظنت الولايات المتحدة أنها بذلك سوف تحرك الشعب الكوبي ضدّ كاسترو... لقد توهّمت بتلك الآلاف... فبدأت تضغط وأطلقت العنان لوسائل الإعلام لكي تطالب بالسماح للكوبيين بالمغادرة...

حينها انتظر كاسترو قليلاً وهو يبتسم... ثم غضبت كوبا وعبس الثائر كاسترو وقال: حسناً تريدون الذهاب إلى أميركا لكم ذلك... وفتح الحدود للخروج فغادرت السفن تحمل كلّ حثالات كوبا وألقى بها كالقمامة في حضن الولايات المتحدة... التي تأخرت حتى اكتشفت حماقتها... فبدأت تطالب بإغلاق الحدود....

يومها قال كاسترو لكلّ من يريد أن يغادر: لك الحق بالمغادرة ولكن عليك أن تنفض حذاءك بحيث لا تبقى عليه ذرة تراب واحدة من كوبا، فهذا التراب من حق الشعب الكوبي!

لك المجد يا كاسترو... لقد انهار الاتحاد السوفياتي، وتفككت دول كبرى أما كوبا فبقيت صخرة عصية شامخة...

كل أجهزة الاستخبارات الغربية وتحت وقع العقوبات والحصار والتجويع كانت تخطط وتموّل وتؤسّس لما يمكن تسميته «بالربيع الكوبي»، لكن الشعب الكوبي البطل والأصيل... لم تخدعه الشعارات والوعود والسراب... فبقي ملتزما بأغلبيته الساحقة في خندق غيفارا... يرفع صوره أيقونة أجمل من كل الأيقونات... وتحوّلت كوبا كلها إلى رمز ورواية لكلّ شعوب أميركا اللاتينية التي أخذت تنتفض ضدّ اللازمة الأميركة «أن أميركا اللاتينية هي الساحة الخلفية للولايات المتحدة». لقد سقطت هذه المقولة الاستعمارية تحت غضب شعوب أميركا اللاتينية... أحفاد سيمون بوليفار وتشي غيفارا وهوغو تشافيز وكاسترو.

تلك هي إرادة المقاومة... فكان النصر... صباح الخير يا هافانا.

درس من كوبا

■ معن بشور*

في مطلع عام 1992، وفيما الزهو يغمر الرئيس الأميركي آنذاك، جورج بوش الأب، بعد حرب بلاده وحلفائها الأولى ضد العراق، وبعد نجاحه في استدراج الدول العربية إلى مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط، وفي ضوء انهيار الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية من حوله، وقف بوش أمام جمع من الكوبيين المنفيين قائلاً: أعدكم أننا سنحتفل في عيد الميلاد المقبل في هافانا، موحياً بأن النظام الذي يقوده فيدل كاسترو سيسقط حتماً.

يومها، وضع كثيرون أيديهم على قلوبهم خائفين على هذا الموقع الثوري، الذي صمد على مدى عقود في خاصرة الدولة الكبرى والأقوى في العالم، من أن يسقط أخيراً في ظل الزلزال الضخم الذي هزّ العالم بعد ما جرى في موسكو وبوخارست وبرلين وبراغ وكييف وتبليسي وقبلها في وارسو عاصمة بولندا، بل بعد ما جرى في العراق آنذاك، وبعد انتشار غير مسبوق للقوات الأطلسية في «خليج الشمس الساطعة» كما أسماه يوماً الاسكندر المقدوني.

كان السؤال يومها محيّراً للجميع، كيف تصمد دولة صغيرة بحجم كوبا وسط هذه الأعاصير، وهي على بعد أميال من فلوريدا الأميركية، فيما تقوم في جزء منها واحدة من كبرى القواعد العسكرية الأميركية (غوانتامو) التي تحولت إلى واحدة من كبرى معسكرات التعذيب الأميركية في العالم، والتي قد يكون سر اختيار جورج بوش الإبن لها كسجن للمقاتلين في أفغانستان نوعاً من الرمزية التي تريد تصوير جزء من كوبا كسجن أميركي، فيما لم يستطع السجن الأميركي الكبير أن يقفل أبوابه الحديدية على كوبا وعلى قيادتها الثورية.

يومها قلت في لقاء تضامني عقدناه في الطريق الجديدة في بيروت مع الثورة الكوبية (بعد أن تصرف المندوب الكوبي في مجلس الأمن آنذاك كالمندوب العربي الوحيد في دفاعه عن فلسطين والعراق وسورية وحركة التحرر العربية والعالمية) إن كاسترو باق وبوش هو الذي سيكون في عيد الميلاد المقبل (25 كانون الأول 1991) يوضب حقائبه للخروج من البيت الأبيض». وهو ما حصل في الانتخابات الرئاسية في خريف 1992.

لم تكن تلك الفكرة نبوءة آنذاك، ولم تكن رداً انفعالياً على مناخ الإحباط الفكري والسياسي الذي طوق نخباً عديدة، بل كانت إدراكاً بسيطاً وعفوياً أن في كوبا شعب مسكون بروح التمرد على الطغيان والتبعية، وفيها أيضاً قيادة ثورية تعرف كيف تلتصق بشعبها، وتحرص على مبادئها، وتدرك أن الأوطان موجودة باستقلالها فإن خسرت استقلالها تخسر كرامتها وعنفوانها بل ووجودها نفسه.

وكنت أدرك، كالكثيرين، أن ما من شعب قرّر الصمود خلف قيادة صلبة إلا وانتصر على أعدائه مهما طال الزمن، وأن هذا قانون عرفته كل الأمم المكافحة، كما عرفه الكوبيون أنفسهم حين امتشق عشرات منهم السلاح، وفي أواسط الخمسينات من القرن الماضي، وعلى رأسهم الثنائي كاسترو – غيفارا، فأسقطوا باتيستا الطاغية، وتحصنوا بوجه كل الإغراءات والتهديدات الأميركية.

اليوم ستحتفل كوبا بأعياد الميلاد لهذا العام، وبعد 23 سنة على «وعد» بوش الأب، وهي تحتضن قائد ثورتها فيدل ورئيسها راؤول، فيما يمضي بوش الأب وابنه وأحفاده عطلة عيد الميلاد في مزرعتهم في تكساس بينما تعصف بدولته أعاصير العصبيات العنصرية بكل ما تحمله من أخطار...

«درس من كوبا»، هذا ما كشف عنه إقرار الرئيس الأميركي أوباما بأن كل محاولات إدارته لإخضاع كوبا قد فشلت، فهل سيقرّ أوباما أو من يخلفه أن كل محاولات إداراتهم لثني شعب فلسطين عن مقاومة الاحتلال والاغتصاب قد فشلت مع انتفاضة تتجدد، ومقاومة تتسع وتعيد صوغ المعادلات، كما أن كل دسائس أجهزتهم وأدواتهم لم تنجح في تدمير إرادة الشعب في العراق وسورية، وفي مصر وليبيا والسودان، وفي اليمن والجزائر والصومال، ناهيك عما جرى للبنان وفيه.

قد تتباين وجهات النظر في ما جرى بالأمس من تطور خطير ومذهل في العلاقة الأميركية مع هافانا، وقد يعتقد أسرى وهم القوة الأميركية الطاغية في كل مكان وزمان، أن ما جرى هو محاولة استيعاب للدولة والثورة، وقد يعتقد البعض أن ما جرى هو إغلاق جبهة للتفرغ لجبهات أخرى أكثر سخونة، بل ربما لاستفراد دول أخرى في أميركا اللاتينية وعلى رأسها فنزويلا، لكن لا أحد يستطيع أن ينكر أن كوبا الثورة قد صمدت وظفرت وانتصرت.

إنه درس من كوبا لكل من يسعى إلى فرض التبعية على الأمم، ولكل من أثبت أن لديه «قابلية واسعة للتبعية»... وهم ليسوا قلة خصوصاً بين بعض النخب و«المحللين الاستراتيجيين».

* المنسق العام لتجمّع اللجان والروابط

بين «داعش» و«القاعدة»: عندما يصبح التوحش استراتيجيا

■ محمد محمود مرتضى

منذ مدة انتشر الحديث عن كتابين وهما عبارة عن دراستين ذات طابع استراتيجي تحدّدان لما يُسمّى «بالحركات الجهادية» أهدافاً وخطط عمل ينبغي اتّباعها للوصول الى إقامة «الدولة الاسلامية» او الخلافة، وذلك قبل ان يعلنها زعيم «داعش» ابو بكر البغدادي بسنوات.

الأول هو إدارة التوحش وهو عبارة عن كتاب دوّنه المدعو ابو بكر ناجي. وانْ لم تتضح السنة التي دُوّن فيها لكن الأرجح انه بين عامي 2004 و 2005، اما المؤلف فيبدو انه اسم مستعار ويحتمل جدا ان يكون الاسم الحقيقي هو سيف العدل ـ العقل الأمني لتنظيم «القاعدة».

اما الثاني فهو المذكرة الاستراتيجية التي كتبها عبد الله بن محمد عام 2011.

الامر المشترك الذي يجمع بين الكتابين انهما ذات طابع استراتيجي، ينظران الى المستقبل، ويسعيان لقراءته وكتابة الخطط التي ترتبط به وبكيفية المواجهة، وصولاً إلى إقامة «الدولة الاسلامية». ومهما يكن من أمر فإننا يمكن ان نسجل الملاحظات التالية حول هذين الكتابين:

المشهد العربي والأنظمة المتهالكة

منذ أن تشكلت الدول العربية وطوال السنوات التي عملت بها خلال أكثر من نصف قرن منذ استقلالها، لم تعمل على تطوير الثروات ولا على تأمين الاستقرار. فضلاً عن أنّ غياب مظاهر الازدهار والرخاء على الأوساط العامة باستثناء فئة ضيقة، أضعف أسس تحقيق الاستقرار الداخلي.

وفي ظلّ هذه الحالة من الشعور بالاستلاب وعدم الاستقرار فقدت شرائح واسعة من المجتمع مرتكزاتها الأساسية، إضافة الى فقدان الحكومات قدرتها في المحافظة على ولاء الشعب. ما جعل الايديولوجيات الدينية في أرجاء العالم العربي مرجعية أساسية ومحورية في استقطاب الجماهير بعد ان تراجعت الخطابات الاخرى.

قرأ منظرو المجموعات التكفيرية هذا المشهد، وسعوا إلى توظيفه من أجل الانطلاق نحو الفوضى التي رأوا انها تتقاطع مع مشروعهم؛ لأنّ تهالك الانظمة العربية، ومن ثم استغلالها من قبل هذه الجماعات لنشر الفوضى، هي بالتحديد ما تحتاجونه هذه الجماعات في عملية «الاستقطاب» التي تمثل العنصر الأهمّ في خطط «داعش». (راجع حول الاستقطاب «ادارة التوحش»، ص 46).

الفوضى والتقسيم نقطة الالتقاء الكبرى

ورغم ما كان يعتري الانظمة العربية من عوار، ورغم ارتباط الكثير منها بمحاور غربية ودول كبرى الى حدّ التبعية، فقد كان المشروع الغربي يتطلع الى تمزيق المنطقة منذ اكثر من ربع قرن، وهذا ما حملته خلاصات ما كتبه الصهيوني برنارد لويس في عام ١٩٨٣. وقبله «الاسرائيلي» (اوديد ينون) عام ١٩٨٢ من دون ان ننسى دراسة «حدود الدم: نحو نظرة افضل للشرق الأوسط» التي دوّنها رالف بيترز.

وهنا تحدبداً ظهرت نقطة الالتقاء الكبرى بين الغرب والتكفير، لا سيما في صورته الاخيرة (الداعشية) . فالغرب رأى في «داعش» كفكر وسلوك، فرصة مؤاتية لتنفيذ مشاريع الشرذمة أولاً، ووحشنة الإسلام (اي إظهاره متوحشاً) ثانياً. كما رأى في «داعش» وغيرها من حركات التكفير فرصة لتحويل العدو المنهزم إلى شبه منتصر. ليتوسل العرب بأميركا كمنقذ، ولتظهر «اسرائيل» على انها وانْ كانت كياناً غاصباً عنصرياً لكنه ليس كياناً متوحشاً.

وفي المقابل رأى التيار التكفيري في مشاريع التقسيم عنصراً يمكن الاستفادة منه في مشروعه البعيد المدى للوصول الى مرحلة إقامة «الدولة الاسلامية» (وفق اصطلاح المذكرة الاستراتيجية) او مرحلة التمكين الممهّد لإقامة هذه الدولة (وفق اصطلاح «ادارة التوحش»).

اما كيف يكون التقسيم يصب في مصلحة التكفير؟ فلأنه سوف يحطم حدود سايكس ـ بيكو اولاً، ويؤجّج مشاعر الانقسام المذهبي والطائفي ثانياً، ولأنّ الكيانات الجديدة لن تكون مالكة لهوية وطنية ثالثاً، فضلاً عن انها سوف تكون أوهن من الانظمة القائمة.

البغدادي يقطف الثمار

من الأمور اللافتة ان كلا الكتابين قد ظهرا قبل نشوء «داعش». فكتاب «إدارة التوحش» مثلاً قد صدر قبل تأسيس ما سُمّي «الدولة الاسلامية في العراق». وللتذكير فإنّ الزرقاوي بدأ عمله في العراق تحت اسم «جماعة التوحيد والجهاد»، وذلك خلال فترة خلافه مع تنظيم «القاعدة» حتى تاريخ 17- 10 ـ 2004 تاريخ مبايعته لأسامة بن لادن حيث اعلن عن تأسيس ما سُمّي «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين». اما «الدولة الاسلامية في العراق» فإنها لم تؤسّس الا في 15 – 10 – 2006 حيث انتخب ابو عمر البغدادي اميراً عليها، وذلك بعد اغتيال الزرقاوي (في 7-6-2006).

وبعد اغتيال ابو عمر البغدادي وابو حمزة المهاجر في 2010/4/19 (ابو حمزة المهاجر خلف الزرقاوي بعد مقتله على رأس قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين). تسلّم ابو بكر البغدادي زعامة «الدولة الاسلامية في العراق» بعد عشرة أيام من مقتلهما.

اما «المذكرة الاستراتيجية» التي نشرت عام 2011، وبحسب مضمونها فقد صدرت بعد انطلاق «الربيع العربي» وبعد «عسكرة» الأزمة السورية، ما يرجح صدورها بعد شهر حزيران من عام 2011. وذلك يعني انّ ما يُعرف بتنظيم «الدولة الاسلامية في العرق والشام ـ داعش» لم يكن قد تأسّس أيضاً على اعتبار أنّ هذا التنظيم أسّس في 9-4-2013.

فيظهر مما تقدم انّ البغدادي يقوم بقطف ثمار ما كتبه ودوّنه مخططو تنظيم «القاعدة»، هذا التنظيم الذي انقلب البغدادي عليه وطرح نفسه بديلاً لزعيمه (أيمن الظواهري).

ورغم انّ عمل «داعش» قد شهد تطوراً كبيراً منذ تسلّم البغدادي لقيادته، لكن من المقطوع به انّ البغدادي لا يعمل وحده، وان وصول «داعش» الى ما وصل اليه انما كان بسبب تضافر عوامل عدة ومنها:

استقدام عناصر متمرّسة واستقطابها وإعطائها دوراً كبيراً في حركة التنظيم، وهو ما يبرّر كون «داعش» هو الأكثر استقطاباً للمجموعات التكفيرية غير العربية (باكستان، الشيشان، دول غربية وغيرها).

اعتماد البغدادي على كثير من ضباط جيش صدام حسين وخبراتهم.

الاستفادة من ضعف شخصية الظواهري وعدم مبايعة العديد من قادة تنظيم «القاعدة» له بسبب ظهور ثغرات كثيرة منذ تسلّمه لقيادة التنظيم بعد اغتيال بن لادن عام 2011. وظهرت هذه التململات من خلال رسائل عدة أرسلها بعض قادة التنظيم للظواهري نفسه. (على سبيل المثال: رسالة مفتوحة من الشيخ أبي يوسف الغريب الى أيمن الظواهري تحت عنوان «أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا»، ورسالة ابو بكر الزيلعي الصومالي (قبل مقتله) تحت عنوان: «اني انا النذير العريان».

الاستفادة من الضعف الأمني للأجهزة العراقية من جهة ومن جهة أخرى انسحاب الجيش السوري من بعض المناطق السورية القريبة من الحدود العراقية في إطار إعادة انتشار وتجميع القوى، ما سمح لـ«داعش» بتحقيق إنجازات ميدانية في تلك المناطق ساعد في توسع «داعش» على حساب التنظيم الأم.

الإمكانيات المالية الكبيرة لـ«داعش»، لا سيما بعد ان وضع يده على مناطق نفطية في سورية.

اختراقات استخبارية عبر بعض من وصل الى مواقع المسؤولية. وتقوم هذه الاستخبارات بواسطة عملائها بتزويد التنظيم بالخطط والاستراتيجيات التي تناسبها.

قراءة التاريخ

لا ينحصر تركيز الكتابين على استشراف المستقبل والتخطيط له بل من الملاحظ فيهما الاستفادة الكبيرة من قراءة التاريخ. ولذلك نجد أنهما حافلان بالاستشهاد بوقائع تاريخية يمكن البناء عليها في فهم مسار الاحداث واستنباط آليات عمل، وأخذ العبر. فلم يعتمدا على اسلوب التنظير الفكري بعيداً عن الوقائع العملية، ما أضفى عليها نوعاً من «الواقعية»، وانْ كانت بعض النصوص والمشاريع قد تبدو مستبعدة التحقق، الا ان الإتيان بوقائع تاريخية قد يحفز هؤلاء على ضرورة المثابرة.

هذا... ولا بدّ من الاعتراف انّ هاتين الدراستين تتمتعان بنظرة شمولية وقراءة عميقة لما يجري في المنطقة. وهي من هذه الناحية أشبه بالدراسات التي كانت تعدّها الماركسية للصراعات العالمية، او تكتبها القومية العربية في نظرتها إلى المنطقة بشكل عام.

المصادر الفكرية

لا يمكن لأحد أن ينكر انّ الفكر التكفيري خرج من رحم الوهابية، وانّ كلّ واحد منهما يمثل وجهاً للآخر. وفي الوقت الذي يمثل فيه ابن تيمية وابن عبد الوهاب العمق الفقهي والعقدي لكلا الطرفين، فإنّ التكفيريين قد استفادوا في السياسات الشرعية في التخطيط والتنظير من كتابات ابن قيم الجوزية (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) وابي الأعلى المودودي، والماوردي (الاحكام السلطانية والولايات الدينية) اضافة الى ابي قتادة الفلسطيني، من دون ان ننسى كتابات سيد قطب. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال المصادر التي اعتمدها الكاتبان.

التجربة الصهيونية في فلسطين

ولعل من اللافت ايضاً في هذين الكتابين هو قيام الكاتبين بالإكثار من الإتيان بأمثلة عن التجربة الصهيونية في فلسطين، لا سيما في «المذكرة الاستراتيجية» ومن أهمّ النقاط التي استشهد بها يمكن الحديث عن:

تهجير الاقليات ضمن إطار نظرية «التأمين الاستراتيجي» فقد استشهد الكاتب لتبرير صحة نظريته بما فعله الصهاينة في فلسطين من تهجير. وتبدو خطورة هذا الاستشهاد بانه يبرّر «نظرية التهجير» للصهاينة لأنه يؤمّن لهم استراتيجياً ديمومة كيانهم.

أسلوب عمل العصابات الصهيونية خلال المراحل الأولى لنشوء الكيان. وأتى هذا الاستدلال عند الحديث عن مرحلة «المصاولة».

وضع العصابات الصهيونية اليد على المناطق الزراعية في إطار تأمين المقوّمات الأولية «للدولة» المزمع إنشاؤها.

التبرير الديني كعامل استنهاض لقبول «الدولة» فعند حديثه عن أهمّ المواصفات التي ينبغي توافرها في المنطقة التي يجب اختيارها لتكون نواة «الدولة» تحدث عن ضرورة وجود عمق وخلفية دينية لهذه المناطق مستشهداً بالتجربة الصهيونية.

بلاد الشام

كما يمكن ملاحظة انّ كلا من «ادارة التوحش» و«المذكرة الاستراتيجية» قد حدّدتا بلاد الشام كمنطقة مقترحة لنواة «الدولة». وتتمحور تبريرات هذا الاختيار في النقاط التالية:

التبرير الديني: ويرتكز على ما سردوه من «احاديث نبوية» عن بلاد الشام وأهلها وأهميتها.

انها كانت مركزاً لخلافة إسلامية سابقة (الخلافة الاموية).

انها قريبة من مركز خلافة إسلامية سابقة أيضاً (حدودها مع العراق مركز الخلافة العباسية).

انها قريبة من الاماكن الاسلامية الاساسية (حدودها مع السعودية مع الأخذ بعين الاعتبار انّ بلاد الشام تشمل الاردن).

لكن مركز «الخلافة الاسلامية» وانْ كان متفقاً عليه في هذين الكتابين وهو الشام، فقد برز رأي ذكره فؤاد حسين (في كتاب الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة) انّ العراق سيكون هو مركز الخلافة. (راجع: الزرقاوي الجيل... ص81، ادارة التوحش، ص15، المذكرة الاستراتيجية، ص23).

ويبدو انّ البغدادي قد جمع بين الرأيين واعلن خلافته في العراق والشام معا.

السعودية مستبعدة

نجد انّ المؤلفين قدّما التبريرات لاستبعاد المملكة كمركز «للخلافة» المنشودة. مع تركيز اكبر على الشام والعراق (ادارة التوحش) وعلى الشام واليمن (المذكرة الاستراتيجية).

من الواضح انّ هذا «التوحش» تجري إدارته بعناية ووفق أبحاث ودراسات، من الغرب الذي كان متوحشاً وما زال، ومن جماعات تكفيرية لا تستحضر من التاريخ الا المتوحش منه وتتماهى معه كتاريخ ينبغي الاقتداء به.

اننا امام استراتيجيا «التوحش» ومن يريد المواجهة لن يتسنى له ذلك من خلال حلول موضعية ومواجهات متفرّقة، وأعمال انفعالية، بل لا بدّ من تخطيط استراتيجي يقابله، ومن خطط تقارب اكثر طبيعة المجتمعات وهواجسها وتطلعاتها.

انّ ايّ ذهاب إلى المواجهة مع هذه الجماعات لا ينطلق من خطة شاملة لن يكون مصيره سوى الفشل، ولن يزيد المنطقة الا إيغالاً في عصر التوحش.